جامعة بنغازي – كلية التّربية

مجلة كلية التربية ... العدد الخامس عشر ... يونيو 2024

المسائل اللغويّة في بعض كتب مُشكِل القرآن

Linguistic issues in some literature on the text ambiguity of the Holy Quran.

أ. سليمان عبد النبي عطيّة.

Researcher name: Suliman Abdelnabi Atea.

جامعة بنغازي/ كليّة الآداب والعلوم – قسم اللغة العربيّة والدراسات الإسلاميّة – سلوق، ليبيا.

Benghazi University, Faculty of Art and Sciences, Department of Arabic Language and lslamic Studies, Sulug, Libya.

Faculty member. عضوهيأة تدريس.

Academic degree: Lecturer. الدرجة العلمية: محاضر.

التخصّص: نحو وصرف.

Specialty; Grammar and morphology.

E- mail: sulayman.ateeyah@uob.edu.ly:البريد الالكتروني

الملخّص:

في بيان مشكل القرآن الكريم وشرح غامضه، فوائدُ جليلةٌ لعامّة المسلمين وخاصّتهم، وتزداد أهمّيّة ذلك مع مرور الزمان، وانتشار الجهل، واضطراب العقيدة، ويكون هذا البيان بتفسير المجمَل، وشرح المشكِل، وذلك عن طريق اللغة العربيّة التي خصّها الله تعالى من بين اللغات فأنزل بها خاتمة كتبه، المنزّل على أفضل رسله، وجعله معجزاً بأسلوبه خلافاً لغيره من الكتب السماويّة، تشريفاً لهذه اللغة وإعلاءً لشأنها .

تضع هذه الدراسة يدك على الفوائد الجليلة التي تقدّمها كتب مشكل القرآن، التي توضّح دقّة أسلوب هذا الكتاب العزيز، وتنفي الإشكال عن آياته الكريمة وتعارضها، وذلك ببيانها طرائق العرب في كلامهم، وإبراز ما تشتمل عليه اللغة من المجاز، والاستعارة، والذكر، والحذف، والوجوه المختلفة للتعبير الأدبي، وما فيها من الصور البلاغيّة، وغير ذلك، ممّا يمكن عدّه تطبيقاً عمليّاً لمسائل اللغة العربيّة وقواعدها، حثّاً على فهم الآيات القرآنيّة وتدبّرها.

الكلمات المفتاحيّة: التعارض، اشتقاق، أساليب، اختلاف، الألفاظ.

Abstract:

It is of a great benefit to clarify the ambiguities in the Holy Quran and explain it's some vague language to the Muslim general public and to those who are specialized in the Islamic scholar studies. The importance of this increases over time as ignorance and puzzlement of faith is widespread among the nation. The clarification is accomplished by interpretation of the general meaning and elucidation of the unclear terms. This can only be done via utilization of the Arabic language, which Allah, glorified and exalted be He, has bestowed upon it among other languages, to be the language of his last holy script that was revealed to his best messengers and made it a miracle in its context unlike other holy scripts. This is an honour to the Arabic language and recognition to its high status.

This study puts your hand on the great benefits of the literature on Quranic studies that explains the text accuracy of the holy book and refutes any apparent contradictories in its noble verses. The study has done this through describing Arabs speech methods and highlighting the richness of the Arabic language with metaphors and various forms of literary expressions including rhetorical images and so forth of what can be considered a practical application of the rules of the Arabic language to encourage a correct understanding and contemplation of the Quran holy verses.

Key words: Conflict, deriving, Techniques, difference, Words.

مُقدّمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمين، أما بعد:

فقد نال القرآن الكريم عناية العلماء قديماً وحديثاً، فقاموا بدراسته، وتفسيره والتأليف فيه، على امتداد العصور، ومن الدراسات المتخصّصة التي حظي بها كتابُ الله تعالى: دراسة مشكِله، وتعدّد أساليبه، فألّفت العديد من الكتب في هذا الجانب، منها ما وصل إلينا، ومنها ما لم يصل حتى الآن.

وتُعنى هذه الدراسة الموجزة ببعض كتب مشكل القرآن الكريم التي وصلت إلينا ابتداءً من القرن الثالث حتى السادس الهجريّ، وقد اتخذت هذه الدراسة ثلاثة كتب نماذج لها، هي:

- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (213 – 276هـ).
- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب (355 – 437هـ).
- باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، للنيسابوري (ت بعد 553هـ).

وقد رُتّبت هذه الكتب الثلاثة حسب الأسبقيّة، من حيث التسلسل الزمني، وبُيّنت بعض المسائل الإشكالية الواردة فيها، والمناهج التي اتبعها مؤلفوها في عرض كتبهم وترتيبها، وما تضمّنته من الشواهد اللغويّة في تحليل مشكل القرآن، وبيان موقف كل من ابن قتيبة، ومكي القيسي، والنيسابوري منها.

مشكلة الدراسة:

قد يجد القارئ لكتاب الله تعالى بعض الأساليب المستغلقة، التي تبدو مشكِلة، أو أموراً يراها متناقضة بحسب فهمه. فهل يمكن عن طريق اللغة حل هذا الإشكال؟ وكيف تُوظّيف الأساليب اللغويّة في خدمة القرآن الكريم، بتوضيح غامضه، وبيان المقصود منه؟ تحاول الدراسة الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها.

أهداف الدراسة:

تتمثل أهمّيّة الدراسة فيما يلي:

- الإشارة إلى الفوائد القيّمة التي تقدّمها كتب مشكل القرآن، من حيث تقعيد بعض القواعد، وتصحيح نظرة القارئ نحو الآيات القرآنية التي يوهِم ظاهرُها الإشكال.

- بيان دقّة أسلوب القرآن الكريم، ودقّة الحركات على كلماته من كسرة وفتحة وضمّة، وضرورة الاعتناء بهذه الحركات؛ لأن الخطأ فيها يودّي إلى اضطراب المعنى، المؤدي أحياناً إلى الكفر.
- نفي الإشكال عن آيات القرآن الكريم، فهو كتاب كريم منزّل من لدن حكيم خبير، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

منهج الدراسة:

اتّبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفيّ، بوصف الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، من حيث: مؤلفها، ومنهجها، وبعض المسائل التي تناولتها، كما اتّبع المنهج التحليليّ في بعض الأحيان لتحليل النواحي اللغويّة.

الدراسات السابقة:

لا توجد دراسات تذكر تُعنى بهذا الجانب، لكن هناك دراسات في موضوعات ذات صلة بهذا الموضوع، مثل:

1. منهج ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن وأثره في الدراسات القرآنية، للدكتور: فادي بن محمود الرياحنة، وهو يدرس منهج ابن قتيبة في كتابه المذكور.
2. دراسة المسائل النحويّة في كتاب باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن للنيسابوري، للدكتور: يوسف صايل السلمي، وهذا درس جانباً من جوانب هذا الكتاب.
3. كتب مشكل القرآن حتى القرن السادس الهجري، دراسة لغويّة تحليليّة، للدكتور: حامد أدينوي جمعة، (رسالة دكتوراه)، وهو بحث يشتمل على دراسة عامّة لبعض كتب مشكل القرآن، فهو غير متخصص في دراسة المسائل اللغويّة، وتختلف هذه الدراسة عن غيرها بتركيزها على دراسة المسائل اللغويّة في كتبٍ ثلاثةٍ من كتب مشكِل القرآن الكريم.

هيكلة الدراسة:

فرضت طبيعة الموضوع أن تكون الخطّة الدراسيّة مكوّنة من: مقدّمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، ثم خاتمة، يلي ذلك قائمة المصادر والمراجع.

في المقدّمة: بيان أهمّيّة موضوع الدراسة، والمنهج المتّبع فيها، والدراسات السابقة.

وفي التمهيد: التعريف بمصطلح المشكل، وسبب الإشكال، وأهم الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، وحكم البحث فيه.

ويُخصّص كلّ فصل من الفصول الثلاثة للحديث عن كتاب من الكتب المختارة في الدراسة بالتعريف بمؤلفه، وبيان منهجه، وبعض المسائل اللغوية الواردة فيه، وهي مرتبة زمنيّاً على حسب وفيات مؤلفيها.

فالفصل الأول: يتناول الحديث عن كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة.

ويتناول الفصل الثاني: كتاب مشكل إعراب القرآن لمكي القيسي.

وفي الفصل الثالث: الحديث عن كتاب باهر البرهان للنيسابوري.

والخاتمة: تحتوي على أهم نتائج البحث. هذا، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب.

المسائل اللغويّة في بعض كتب مشكل القرآن:

تمهيد

تعريف المشكل:

المشكل في اللغة مشتق من الفعل أشكل، جاء في مقاييس اللغة: "الشين والكاف واللام معظم بابه المماثلة، تقول: هذا شكل هذا أي مثله، ومن ذلك يقال: أمرٌ مشكل، كما يقال: أمرٌ مشتبه، أي هذا شابه هذا" ، (ابن فارس، 1979: 3/ 204).

وجاء في لسان العرب: "الشكل: المثل، تقول: هذا على شكل هذا، أي على مثاله ... وأشكل الأمر: التبس" ، (ابن منظور، د:ت: 11/ 357).

فالمُشكِل عند أهل اللغة اسم فاعل وزنه (مُفعِل) من الفعل (أشكل) الرباعي المزيد بالهمزة، مادّته اللغوية (ش ك ل)، ومصدره: الإشكال، أي الملتبس، أو الإلباس، ومعناه: خفاء الأمر واختلاطه، والتشابه بين الشيئين يقود الى الالتباس أحياناً، ومن ذلك قول العرب في الإبل والغنم: الأشكل، وهو الذي تختلط فيه الحمرة بالبياض، كأنّ لونه قد أشْكِل على الناس، لذا فإن كلّ مختلط مشكِل، ومنه قيل للأمر المشتبه: مشكل.

وفي الاصطلاح: هو ما خفيَ المراد منه، من الألفاظ لدخوله في أشكاله، بحيث لا يُدرك معناه إلا بقرينة تميّزه عن غيره، قال ابن فارس: "المشكل هو الذي يأتيه الإشكال من غرابة لفظه، أو أن تكون فيه إشارة إلى خبر لم يذكره قائله على جهته، أو أن يكون الكلام في شيء غير محدّد، أو أن يكون وجيزاً في نفسه غير مبسوط، أو تكون ألفاظه مشتركة" ، (ابن فارس، 1993: 74)، فقد حصر ابن فارس الإشكال في هذه الأمور الخمسة: غرابة اللفظ، أو الإشارة إلى خبر لم يُنَصّ عليه، أو عدم تحديد الشيء الذي يتكلم عليه، أو الكلام على الشيء بإيجاز يحصل منه غموض في المعنى، أو يكون اللفظ له أكثر من معنى.

فلفظ الإشكال مصطلح عام يُعنى بدراسة ما يطرأ على الآية من إشكال، سواء كان في اللفظ، أم في المعنى، أم في توهم تعارض، أم في الإعراب، أم في القراءات، وسنقتصر في هذه الدراسة على ما ورد في الكتب الثلاثة المشار إليها من هذه الإشكالات الخمسة، وهي ثلاثة، هي:

1- الإشكالات المتعلقة بالمعنى.
2- الإشكالات المتعلقة بتوهّم التعارض، وهذان النوعان عند ابن قتيبة في (تأويل مشكل القرآن)، والنيسابوري في (باهر البرهان).
3- الإشكالات المتعلقة بالإعراب، عند مكي بن أبي طالب في (مشكل إعراب القرآن).

أسباب المشكل وأهمّ الكتب المؤلفة فيه:

الأسباب التي ذكرها العلماء والتي لها أثر في الإشكال في فهم معاني الآيات القرآنية كثيرة، ما يهمّنا منها هو ما يتعلق بالناحية اللغوية، كالتقديم، والتأخير، والمجاز، والإظهار في موضع الإضمار، وعكسه، والتأويل، والغريب، والتعارض، والاشتقاق، والتضادّ، والترادف، وما إلى ذلك.

وهناك كتب عديدة ألّفت في هذا الموضوع، وما تمكّن الباحث من الوصول إليه من هذه الكتب والاطلاع على بعضها، ما يلي:

1. مشكل القرآن، لقطرب (ت205هـ).
2. تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ت276هـ).
3. مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ).
4. مشكل القرآن، لمحمد بن أحمد بن مطرّف الكناني (ت454هـ).
5. البرهان في مشكلات القرآن، لابن عبد المالك (ت494هـ).
6. البديع والبيان عن غوامض القرآن، لحسن بن فتح بن حمزة (ت500هـ).
7. باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، للنيسابوري (ت553هـ).
8. فوائد في مشكل القرآن، للعز بن عبد السلام (ت660هـ).
9. تفسير آيات أشكلت، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، المعروف بابن تيمية (ت768هـ)، وغيرها.

حكم البحث في مشكل القرآن:

إنّ في بيان مشكل القرآن، وشرح غامضه فوائد جليلة لعامّة المسلمين، والدارسين منهم خصوصاً، لهذا فهو أمرٌ واجبٌ على العلماء، لقوله تعالى: "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبيّنات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزّل إليهم ولعلهم يتفكّرون"، (النحل: 43، 44)، فبيان ما نزّل يكون بتفسير المجمَل، وشرح المشكِل، كما جاء في السنة وبيانها لأمر الشريعة، ويكون أيضاً بالبحث والنظر في القرائن الدّالّة على المعنى المراد من اللفظ المشكل، والعمل بما يؤدي إليه البحث والنظر، من ذلك قول صاحب (كشف الأسرار) علاء الدين بن عبد العزيز البخاري (ت730هـ): "أن معنى الطلب والتأمل أن يُنظر أولاً في مفهومات اللفظ جميعاً فيضبطها، ثم يتأمل في استخراج المراد منها، كما إذا نظر في كلمة (أنّى) فوجدها مشتركة بين معنيين لا ثالث لهما، هما: كيف، وأين؟ فهذا هو الطلب، ثم تأمّل فيهما فوجدها بمعنى (كيف) دون (أين) فحصل المقصود"، (البخاري علاء الدين، 97: 85).

ولهذا النوع من الدراسة أصلٌ في السنة النبويّة، فعن عبد الله بن مسعود قال: "لما نزلت هذه الآية: "الذين آمنوا ولمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أولئكَ لَهُمُ الأمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ" ، (الأنعام، 82) شقّ ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله، أيّنا لم يظلم نفسه؟ قال: إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: "يا بُنَيّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إنَّ الشّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" (لقمان، 13) ، إنّما هو الشرك" ، (ابن كثير، 2000: 6/ 101).

المبحث الأول:

المسائل اللغويّة في كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة:

1. تعريف موجز بابن قتيبة:

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الدينوري (نسبة إلى دينور المدينة التي تولى بها القضاء)، المروزيّ الأصل، البغداديّ الولادة والنشأة" (القفطي، 1986: 2/ 143)، له مصنفات عديدة في علومٍ شتّى، تقارب الخمسين مصنّفاً، ذكر منها ابن النديم في فهرسه ثلاثين كتاباً (ابن النديم، د، ت: 115)، وللدكتور عبد الله الجبوري دراسة في جزأين بعنوان: (دراسة كتب ابن قتيبة) تناول فيها مؤلفاته المخطوطة منها والمطبوعة، "والحق – كما يقول محقق كتاب مشكل القرآن لابن قتيبة – أن كتب ابن قتيبة دائرة معارف شاملة، تمثّل أرقى ما وصل إليه الفكر الإسلامي، في القرن الثالث الهجري، (صقر، 1973: 2).

قضى ابن قتيبة حياته ذابّاً عن دينه، مسخّراً عقله وفكره في سبيل الدّفاع عن لغته، ودرء شبه الأعداء الذين يتربّصون بها، كما فعل في كتبه: (في غريب الحديث ومشكله)، و(الاختلاف في اللفظ والردّ على الجهمية والمشبّهة)، و(فضل العرب والتنبيه على علومها)، محاولا من خلال كتبه ودروسه الرفع من شأن هذه اللغة وتمكينها في قلوب المسلمين. توفي – رحمه الله – سنة (276هـ) ، (القفطي، 1986: 2/ 146) ببغداد.

2. منهج ابن قتيبة في كتابه: تأويل مشكل القرآن:

إن من متمّمات هذا الدين، ومن علامات حبّ الله ورسوله، حبَّ اللغة العربيّة، الذي يتجلى بصرف الهمّة إليها، بخدمتها والعناية بها، فقد اصطفى الله تعالى محمداً (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) من بين الرسل، والعرب من بين الأمم، وخصّ العربيّة من بين اللغات، فأنزل بها خاتمة كتبه، المنزّل على أفضل رسله، فالعربيّة لهذا أفضل اللغات وأشرفها، أدرك هذه الحقيقة أسلافنا، والمنصفون من علماء الغرب، يقول الجاحظ (ت255هـ): "لا بدّ من ذكر الدليل على أن العرب

أنطق، وأن لغتها أوسع، وأن لفظها أدل، وأن أقسام تأليف كلامها أكثر، والأمثال التي ضربت فيها أجود وأسير" ، (الجاحظ، د، ت: 1/ 384).

ومن أوائل الذين بيّنوا فضل العربيّة وما لها من مزيّة، الإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة في بعض كتبه التي من بينها: (تأويل مشكل القرآن) الذي عدّه بعض مؤرخي البلاغة العربيّة فيما بعد من المصنفات الأولى التي نشأ في رحابها هذا العلم، وأخذت فنونه شكلها الاصطلاحي المعروف، وتكوّن علماً مستقلاً له شواهده وركائزه التي يقوم عليها، فأسهم بنقاشاته المستفيضة، وبما طرحه من قضايا مهمّة دفاعاً عن النص القرآني، في تشييد صرح علم البلاغة.

يقوم هذا الكتاب على الردّ على الطاعنين في القرآن الكريم، الذين يرون – حسب آرائهم ونظرتهم في كتاب الله تعالى – أن فيه تناقضاً واختلافاً، وأموراً ذكروها تدلّ على عدم تدبّر، وسوء معتقد، ومثل هذه المطاعن والشبهات لا نجدها إلا عند الملاحدة وأشباههم الذين كانوا يثيرون ما يثيرون بسبب سوء مقصدهم، بإثارة الفتن والشكوك ونشرها بين الناس، وبسبب جهلهم بوجوه التعبير الأدبي في العربيّة، ودلالات صوره البلاغية، ونقص معرفتهم بتصاريف اللغة وضروب استعمالها، وجهلهم بطرائق العرب – الذين نزل القرآن بلسانهم – في التعبير، وتوسّعهم في لغتهم، وفهم بعضهم عن بعض بالإشارة والوحي، يقول الجاحظ: "للعرب أمثال واشتقاقات وأبنية، ومواضع كلام يدلّ عندهم على معانيهم وإراداتهم، ولتلك الألفاظ مواضع أخر، فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة والشاهد والمثل"، (الجاحظ، د، ت، 2/ 253)، ومن ثَم ألف ابن قتيبة هذا الكتاب ليحقّ الحق ويبطل الباطل، وله كتابٌ آخر صنوٌ لهذا الكتاب، هو (تفسير غريب القرآن) يدور حول الموضوع نفسه، وهو إزالة الإشكال والغموض عمّا في كتاب الله تعالى من كلمات وألفاظ تثير اللبس والغرابة، ولهذا جمعهما ابن المطرّف الكنانيّ في كتاب واحد تحت اسم: (كتاب القرطين).

من هذه الأمور التي أثاروها ما أورده المؤلف في (باب الحكاية عن الطاعنين)، حيث انطلقوا من القرآن نفسه لإثبات هذه الأباطيل فقالوا: يقول الله تعالى: "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً" (النساء: 39)، وقد وجدنا هذا الخلاف بين القرآن، من ذلك: قرأ ابن عباس: "بعد أمهٍ"، وقرأ غيره: "بعد أمّةٍ"، وكان ابن مسعود يقرأ: "إن كانت إلا زقية واحدة"، ويقرأ: "كالصوف المنفوش" ، (ابن قتيبة، 1973: 24).

وقالوا: والتناقض مثل: قوله تعالى: (فيومئذٍ لا يُسأل عن ذنبه إنسٌ ولا جان) ، (الرحمن: 38)، وهو يقول في موضع آخر: "فوربّك لنسألنّهم أجمعين عما كانوا يعملون" (الحجر: 92، 93) (ابن قتيبة، 1973: 26).

وقوله: :وبلغت القلوب الحناجر" (الأحزاب: 10) ، قالوا: كيف تبلغ القلوب الحلوق، والقلب إذا زال عن موضعه مات صاحبه، وقالوا: ماذا أراد بإنزال المتشابه من القرآن، من أراد لعباده الهدى والبيان ، (ابن قتيبة، 1973: 32)، وغير ذلك.

فتصدّى – رحمه الله – لهذه الشّبَه وغيرها بالرّدّ عليها ودحضها واحدة واحدة، من خلال أبواب أربعة عقدها لهذا الغرض، هي:

- باب الرّدّ عليهم في أبواب القراءات.
- باب ما ادّعيَ على القرآن من اللحن.
- باب التناقض والاختلاف.
- باب تأويل الحروف التي ادّعى على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم.

وتكلّم في أثناء ذلك عن المتشابه، والمجاز، والاستعارة، والمقلوب، والحذف والاختصار، وتكرار الكلام، والكناية والتعريض، ومخالفة ظاهر اللفظ، والإخفاء، والإظهار، والإفصاح .. ونلمح هنا تأثّره بأبي عبيدة وكتابه (مجاز القرآن)، وبخاصة في استعماله لمصطلح المجاز بمعناه الواسع.

لقد اجتهد ابن قتيبة في هذه الردود المقنعة المدعّمة بالبراهين، معتمداً في ذلك على لغة العرب وما تتميّز به من تنوّع في الأساليب، ولطافة في المعاني، مبيّناً الحكمة ممّا يبدو – في الظاهر – تناقضاً واختلافاً؛ دفاعاً عن النصّ القرآنيّ، وتبريراً لأسلوبه المُحكَم، فألزمهم بذلك الحجّة التي تبيّن فساد مذهبهم، قال: "وتعلّقوا بكثير منه لطُف معناه، لما فيه من المجازات، بمضمر لغير مذكور، أو محذوف من الكلام متروك، أو مزيد فيه يوضّح معناه حذفُ الزيادة، أو مقدّم يوضّح معناه التأخير، أو مؤخر يوضّح معناه التقديم، أو مستعار، أو مقلوب ... وقد ذكرت الحجّة عليهم في جميع ما ذكروا وغيره ممّا تركوا، وهو يشبه ما أنكروا؛ ليكون الكتاب جامعاً للفن الذي قصدت له" (ابن قتيبة، 1973: 32).

3. بعض المسائل اللغويّة من كتاب: تأويل مشكل القرآن:

سلك ابن قتيبة في ردوده على هذه الشبهات طريقتين: طريقة مباشرة، وأخرى غير مباشرة، جعل الردود المباشرة في الأبواب الأربعة المشار إليها، وجعل غير المباشرة في فصول تتبعها، وسنقتصر فيما يلي على بعض الردود اختصاراً، فقد تنوّعت هذه المسائل ما بين أساليب لغويّة تركيبيّة، وذكر منها اثنين وخمسين موضعاً، وألفاظ مفردة تأتي لمعانٍ مختلفة، وذكر منها خمسة وأربعين لفظاً.

أولاً– تأويل التراكيب اللغويّة:

أ– قال في باب (الرّد عليهم في القراءات): "وقد تدبّرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه" ، (ابن قتيبة، 1973: 26)، ثم ذكر هذه الأوجه السبعة التي من بينها:

- "أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يُغيّر معناها، ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب، نحو قوله تعالى: "ربنا باعِدْ بين أسفارنا" (سبأ: 19) ، وربنا باعَدَ بين أسفارنا ... "وادّكر بعد أمّةٍ"، (يوسف: 45)، وبعد أمَهٍ" ، (ابن قتيبة، 1973: 27)، فـ(باعَدَ) بالألف وفتح العين والدال قراءة يعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت205هـ) من القراء العشرة ، (الدمياطي، 2001: 459)، وأما (أَمَهٍ) بفتح الهمزة وتخفيف الميم وبهاء منوّنة من الأَمَه وهو النسيان، فهي قراءة الحسن البصريّ (ت110هـ) ، من القراء الأربعة عشر (الدمياطي، 2001: 332).

والاختلاف نوعان: اختلاف تضاد، وهذا لا يجوز، ولا يوجد منه شيء في كتاب الله تعالى، واختلاف تغاير، أي تنوّع، وذكر منه ابن قتيبة الآية السابقة: (وادّكر بعد أمّةٍ)، قال: "أي: بعد حين، و(بعد أمَهٍ) أي: بعد نسيانٍ له، والمعنيان جميعاً وإن اختلفا صحيحان،؛ لأن أمر ذكر يوسف بعد حين وبعد نسيان له، فأنزل الله على لسان نبيّه صلى الله عليه وسلم بالمعنيين جميعاً في غرضين ، (ابن قتيبة، 1973: 40).

- "أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها في الكتاب، ولا يغيّر معناها، نحو قوله: "إن كانت إلا زقية" و "صيحة" ، (يس: 29)، و(كالصوف المنفوش) و(العهن) ، (القارعة: 5)، (ابن قتيبة، 1973: 37) فـ(زقية) بمعنى صيحة، و (العهن) بمعنى الصوف، وكلاهما قراءتان مرويتان عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه).

ب– أورد في باب: **التناقض والاختلاف**، قولهم: وهل التناقض إلا مثل قوله: (فيومئذ لا يُسأل عن ذنبه إنسٌ ولا جان) ، وهو يقول في موضع آخر: (فوربّك لنسألنّهم أجمعين عما كانوا يعملون)

قال: "فالجواب في ذلك: أنّ يوم القيامة يكون كما قال الله تعالى: (مقداره خمسين ألف سنة)، (المعارج: من الآية 4)، ففي مثل هذا اليوم يُسألون وفيه لا يسألون؛ لأنهم حين يُعرضون يوقفون على الذنوب ويُحاسبون، فإذا انتهت المسألة ووجبت الحجّة، (انشقّتِ السماءُ فكانت وردة كالدّهان)، (الرحمن، من الآية 37) وانقطع الكلام، وذهب الخصام، واسودّت وجوه قومٍ، وابيضّت وجوه آخرين ..." ، (ابن قتيبة، 1973: 65).

ج- وفي: **باب القول في المجاز** يردّ اعتراضهم على قوله تعالى:

1- (وبلغت القلوب الحناجر) بأسلوب العربية وطريقتها في تقريب المعنى وإيضاحه، يقول: "أكثر ما في القرآن من هذا فإنه يأتي بكاد، فما لم يأت بكاد ففيه إضمارها، كقوله: (وبلغت القلوب الحناجر)، أي كادت من شدّة الخوف تبلغ الحلوق، وقد يجوز أن يكون أراد أنها ترجف من الفزع ... وهم يصفون القلوب بالخفقان والنزو عند المخافة والذعر، قال الشاعر (هو: المَرّار ابن سعيد الفقعسي ت نحو 75هـ) في وصف مفازة تنزو من مخافتها قلوب الأدلاء:

كأنّ قلوب أدلائها معلّقة بقرون الظباء" ، (ابن قتيبة، 1973: 171، 172).

وقال في موضع آخر: "وهكذا يفعلون في كل ما أرادوا أن يعظموه ويستقصوا صفته، ونيتهم في قولهم: أظلمت الشمس، أي كادت أن تظلم، وكسف القمر، أي كاد أن يكسف" ، (السابق: 68).

فهو يسوّغ ما يرِد من هذا الأسلوب في الشعر العربيّ ووُصف بالإفراط وتجاوز الحد، ويراه جائزاً على ما ذهب إليه، واحتجّ له، أي أنّ هذا من قَبيل المبالغة غير المذمومة.

2- قوله تعالى: "قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم .." ، (الفرقان: 77)، في هذه الآية إشكال من ناحيتين:

الأولى: الحذف، وهو ما عبّر عنه ابن قتيبة بـ(المضمر)، وهو الحذف المجازي الذي يؤدّي إلى نقل حكم، يقول: "في هذه الآية مضمر وله أشكلت، أي ما يعبأ بعذابكم ربّي" ، (ابن قتيبة، 1973: 438) بحذف المضاف (عذاب)، مثّل له في فصل (الحذف والاختصار) بقوله تعالى: "واسأل القرية التي كنا فيها" ، (يوسف: 82)، أي: سل أهلها، و: "وأشرِبوا في قلوبهمُ العجلَ" (البقرة: 93)، أي: حبّه، و"الحج أشهرٌ معلوماتٌ" ، (البقرة: 197) ، أي: وقت الحج، هذا كله مبنيّ على حذف المضاف، من هذا ما سماه البلاغيون بالمجاز المرسل، إطلاق المحل وإرادة الحالّ، كما في آية سورة يوسف (عليه السلام)، وكما في قوله تعالى: "فليدعُ ناديه" بسورة العلق، أي مَن في النادي من قومه.

الثانية: المصدر المضاف (دعاء) في قوله: (لولا دعاؤكم) هل هو مضاف إلى فاعله، فيكون المخاطبون داعون، والمعنى: ما يعبأ بكم ربي لولا عبادتكم له، أو هو مضاف إلى مفعوله، وعليه يكون المخاطبون مدعوون لا داعون، ويكون المعنى: ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى توحيده وعبادته على ألسنة رسله عليهم الصلاة السلام.

في هذه المسألة أربعة أقوال ذكرها العلامة الشنقيطي في تفسيره (الشنقيطي، د، ت: 6/ 397)، وغيره، وعليه فإن هذا الإضمار الذي قال به ابن قتيبة ليس بلازم، إذ يصحّ أن يكون المعنى: أن الله لا يبالي ولا يكترث بكم إذا لم تعبدوه، ويؤيّد هذا ما نقله ابنُ كثير عن مجاهد وعمرو بن شعيب قال: "(ما يعبأ بكم) يقول: ما يفعل بكم ربي" ، (ابن كثير، 2000: 10/ 335)، من غير تقدير مضمر.

3- قوله تعالى: "والشمس تجري لمستقرٍ لها ذلك تقدير العزيز العليم" (يس: 37)

قال: "قوله: (تجري لمستقر لها) أي: إلى مستقرّها، كما تقول: هو يجري لغايته وإلى غايته" (ابن قتيبة، 1973: 316) ، فالفعل (جرى – يجري) يتعدّى بـ(إلى) وباللام أيضاً، قال الله تعالى: "وسخّر الشمس والقمر كلٌّ يجري إلى أجلٍ مسمّى) ، (لقمان: 28) وقال في آية أخرى: (وسخّر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجلٍ مسمّى) ، (فاطر: 13).

نجد في اللغة العربيّة أفعالاً تتعدّى بأكثر من حرف، من غير تغيير في المعنى، سواء أكانت متضمّنة معانى أفعالٍ آخر أم لا، كهذا الفعل (جرى)، أما من حيث دلالة حرفي الجر (إلى واللام) في هاتين الآيتين فكلاهما يدلّ على انتهاء الغاية، إلا أن الأصل في الدلالة على هذا المعنى لـ(إلى)، أما استعمال اللام للانتهاء فقليل كما تقول كتب النحو، ولذلك اختُلف هل المراد بمستقر الشمس هو مطالعها ومغاربها، أي أن جريها يكون لحدٍّ معيّن، أو هو الوقت الذي تستقرّ فيه وينقطع جريها، وهو يوم القيامة؛ لأن الشمس في الدنيا لا تستقرّ، وإن كانت لها مشارق ومغارب مختلفة، يرى ابن قتيبة الأول، يقول: "ومستقرّها: أقصى منازلها في الغروب، وذلك لأنها لا تزال تتقدّم في كلّ ليلة حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها ثم ترجع، فذلك مستقرّها لأنها لا تجاوزه" ، (ابن قتيبة، 1973: 316) ، وذكر الزمخشري في كشافه المعنيين، قال: "(لمستقرٍ لها) لحدٍّ لها مؤقت مقدّر تنتهي إليه من فلكها في آخر السنة، شبّه بمستقرّ المسافر إذا قطع مسيره ... وقيل الذي تستقرّ فيه وينقطع جريها، وهو يوم القيامة" ، (الزمخشري، 1983: 3/ 322).

ثانياً- تأويل الألفاظ المفردة، ونذكر منها ما يلي:

1. **الاشتراك**، من القضايا اللغويّة التي ذكرها ابن قتيبة في (باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة)، قضية الاشتراك، والمشترك في اللغة هو: أن يكون للّفظِ الواحد أكثر من معنى، عرّفه علماء الأصول بأنّه "اللفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة" ، (السيوطي، المزهر، د، ت: 1/ 369)، ونذكر من هذه الألفاظ ما يلي:

أ- **الهدي**: وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم لمعانٍ مختلفة، وأصل دلالتها الإرشاد كما في قوله تعالى: "عسى ربّي أن يهديَني سواء السبيل" (القصص: 22)، أي: يُرشدني، وتأتي لمعانٍ أخرى كالإرشاد بالبيان في قوله تعالى: "وأما ثمود فهديناهم" (فصلت: 17)، أي: بيّنّا لهم، والإرشاد بالدعاء كقوله: :وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا" (الأنبياء: 73)، أي: يدعون، والإرشاد بالإلهام كقوله تعالى: "الذي أعطى كلّ شيءٍ خلْقه ثم هدى" (طه: 50)، وقوله: "والذي قدّر فهدى" (الأعلى: 3)، بمعنى ألهم، والإرشاد بالإمضاء كقوله: "وأنّ الله لا يهدي كيد الخائنين" (يوسف: 52) أي: لا يمضيه ولا يُنفّذه.

ب- **(الأمّة)** وتأتي في اللغة العربيّة لمعانٍ عدّة، فقد وردت في القرآن الكريم بدلالات مختلفات، اذ الأصل في دلالة الأمّة: هو الصنف من الناس والجماعة، ومن دلالاتها الأخرى: الحين، والإمام الربّاني، وجماعة العلماء، والدين، (ابن قتيبة، 1973: 446).

جـ- ومنها أيضاً: **(العهد)** ومن معاني هذا اللفظ: الأمان، قال تعالى: "فأتمّوا إليهم عهدهم إلى مُدّتِهم" ، (التوبة: 4)، اليمين، قال تعالى: "وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم" ، (النحل: 91)، الزمان، يقال: كان ذلك بعهد فلان، والعهد: الميثاق، ومنه قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام: "قال إني جاعلك للناسِ إماماً قال ومن ذرّيّتي قال لا ينال عهدي الظالمين" (البقرة: 124)، قال: "أي لا ينال ما وعدتك من الإمامة الظالمين من ذرّيّتك، والوعد من الله ميثاق" (ابن قتيبة، 1973: 448).

د- ومنها: **(القنوت)** وذكر من معانيه: طول القيام، والصلاة، والدعاء، والإمساك عن الكلام، والطاعة، ثم قال: "ولا أرى أصل هذا الحرف إلا الطاعة؛ لأنّ جميع هذه الخلال من الصلاة، والقيام فيها، والدعاء، وغير ذلك يكون عنها" (ابن قتيبة، 1973: 452).

هـ- ومن الالفاظ المشتركة كلمة **(المولى)**، وهي أنها تحمل دلالات كثيرة، يذكر ابن قتيبة منها: المولى بمعنى المُعتِق، والمولى: المُعْتَق، والمولى: عصبة الرجل، وولي الأمر والحليف' (السابق: 455).

2. **التضاد**، ويسميه (المقلوب)، وهو أن يوصف الشيء بضدّ صفته، وهو نوع من العلاقة بين المعاني، عرّفه أبي الطيّب اللغوي في كتابه (الأضداد في كلام العرب) فقال: الأضداد "جمع ضدّ، وضدّ كلّ شيءٍ ما نافاه، نحو: البياض والسواد، والسخاء والبخل، والشجاعة والجبن" (أبو الطيّب اللغوي، 1963: 1/ 1).

تكلم ابن قتيبة عن سبب نشأة التضادّ في اللغة، فذكر منها: التطيّر والتفاؤل، كقولهم للّديغ: السليم، تطيّراً من السقم، وتفاؤلاً بالسلامة، أو السخرية كقوله تعالى: "إنّك لأنت الحليم الرشيد" (هود: 87)، ثم قال: "ومن ذلك أن يُسمّى المتضادان باسم واحد، والأصل واحد، فيقال للصبح:

صريم، والليل: صريم، قال الله سبحانه: "فأصْبحَتْ كالصّريمِ" (القلم: 20)؛ لأن الليل ينصرم عن النهار، والنهار ينصرم عن الليل" (ابن قتيبة، 1973: 187)، ومنها: يقال لليقن ظن، وللشك ظن؛ لأنّ في الظن طرفاً من اليقين، قال الله عزّ وجل: "قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله" (البقرة: من الآية: 249)، أي يستيقنون، وكذلك: "إنّي ظننتُ أنّي ملاقٍ حسابيه" (الحاقة: 20)، "ورأى المجرمون النار فظنوا أنّهم مواقعوها" (الكهف، من الآية: 53)، و "إن ظنا أن يقسما حدود الله" ، قال: "هذا كله في معنى اليقين" (ابن قتيبة، 1973: 187)، وللمشتري شارٍ، وللبائع شارٍ؛ لآن كلّ واحدٍ منهما اشترى، قال: "لأنّه باع وأخذ عوضاً ممّا دفع، فهو شارٍ وبائع" ، (السابق، الصفحة نفسها)، وأورد قوله تعالى: "وشروه بثمنٍ بخسٍ دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين" (يوسف: 20)، وقوله تعالى: "ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون" (البقرة: 102)، قال: قال ابن مفرّغ (الحميري):

وشـــريتُ بــرداً ليـتـــني من بعدِ بـردٍ كنتُ هــامه (ابن قتيبة، 1973: 187)، و(الشعر والشعراء، 1980م: 1/ 278، وبرد غلام كان له فباعه وندم على بيعه).

ويئستُ بمعنى علمتُ من قوله تعالى: "أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً" (الرعد: 31) ؛ "لأنّ في علمك الشيء وتيقّنك له يأسك من غيره"، واستشهد بقول لبيد:

حتّى إذا يئس الرّماةُ فأرسلوا غضفاً دواجنَ قافلاً أعصامُها (لبيد بن ربيعة، 1425هـ – 2004م: 112)

(ابن قتيبة، 1973: 192)، وذكر ممّا يسمّيه المقلوب التقديم والتأخير، قال: "أن يُقدّم ما يوضّحه التأخيرُ، ويؤخّرُ ما يوضّحه التقديم" ومثّل لذلك بقوله تعالى: "فلا تحسبنّ الله مُخلِفَ وعدِد رسُلَه" (إبراهيم: 47)، وقوله: "ثُمّ دنا فتدلّى" (النّجم: 8)، "أي: تدلّى فدنا؛ لأنّه تدلّى للدّنوّ، ودنا بالتّدلّي" ، ابن قتيبة، 1973: 193) .

المبحث الثاني:

المسائل اللغويّة في كتاب (مشكل إعراب القرآن) لمكّي بن أبي طالب القيسي:

1. تعريف موجز بمكّي بن أبي طالب:

هو أبو محمد مكي بن أبي طالب (حمّوش) بن محمد بن مختار القيسي المقرئ القيرواني الأندلسي، ولد سنة (355هـ) بالقيروان، سافر إلى مصر عدة مرات، وإلى الشام طلباً للعلم، ثم سافر إلى مكة، وأقام بها إلى آخر سنة (390هـ)، ثم عاد إلى القيروان.

قدم الأندلس سنة (393هـ) وجلس للإقراء بمسجد النخيلة بقرطبة، ثم قلّده ابن جهور الصلاة والخطبة بالمسجد نفسه، وبقي خطيباً إلى أن مات – رحمه الله – سنة (437هـ).

"كان من أهل التبحّر في علوم القرآن والعربيّة، حسن الفهم، جيّد الدين، كثير التأليف في علوم القرآن والعربيّة" (القفطي، 1986، 3/ 313)، ذكروا له مؤلفات كثيرة تربو على الثمانين مصنّفاً كلها تدور حول القرآن وعلومه، إعرابه وقراءاته ، (القفطي، 1986: 3/ 315، وابن خلكان، 1994: 5/ 275).

2. منهج مكّي بن أبي طالب في كتابه: مشكل إعراب القرآن:

بيّن مكّي منهجه في مقدّمة كتابه، فذكر أنه قصد في هذا الكتاب إلى تفسير مشكل الإعراب في القرآن الكريم، وذكْر علله وصعبه ونادره، ليكون خفيفَ المَحْمل، سهل المأخذ، قريبَ المتناوَل لمن أراد حفظه والاكتفاء به، لكنه لم يتقيّد في ثنايا كتابه بما رسمه لنفسه، فذكر في مواضع كثيرة منه مسائل ليست من المشكل في شيء، تتضح لكل من يطالع الكتاب، ويقول بأنه ألف هذا الكتاب لمن أخذ طرفاً من علم النحو، وجملاً من عوامله، لا من اقتصر على معرفة الخافض والمخفوض، والفعل والفاعل والمفعول...

وهذه بعض السمات التي تبيّن في مجموعها وصفاً لمنهج مكي بن أبي طالب الذي اتّبعه في تأليف هذا الكتاب، وتحدِّدُ معالمه:

1. إعراب الآيات المشكلة حسب وجهة نظره، مراعياً ترتيب السور والآيات قدر الإمكان، ويذكر خلال ذلك خلاف النحاة البصريين والكوفيين أحياناً، وكثيراً ما ينقل آراء من سبقه، فجمعَ كثيراً من آراء النحويين واللغويين، فكانت هذه الآراء منهلاً لعدد ممّن جاء بعده من المؤلفين.

2. اهتمامه بالقضايا الصرفيّة.
3. نادراً ما يستشهد بالحديث النبوي والشعر، فلم يستشهد بالحديث إلا في موضعين، ويستشهد كثيراً بالآيات القرآنية.
4. كثرة الاستطرادات.
5. الإحالة على كتبه الأخرى.
6. الميل إلى الإيجاز في ذكر المسائل المشكلة.
7. اختيار الوجه المناسب في الإعراب، وهذا غالبٌ في جميع كتبه، والأمثلة على كل ما سبق كثيرة لا تتسع لها هذه الدراسة.

3- بعض المسائل اللغويّة من كتاب مشكل إعراب القرآن:

يعدّ كتاب مشكل إعراب القرآن لمكّي بن أبي طالب من الكتب المتخصّصة في إعراب الآيات القرآنيّة التي قد تشْكُل على القارئ، فهو من الكتب التي توظّف علم الإعراب في بيان الدلالة اللغويّة للألفاظ القرآنية، كما مرّ بنا في منهجه، فهو ليس كتاب لغة بقدر ما هو كتابُ إعرابٍ، لكن يمكن تصيّد بعض المسائل اللغويّة التي كانت سبباً لهذا المشكل من خلال استطراداته؛ لأنه كثيراً ما يجنح للمسائل الصّرفيّة واللغويّة، وذكر أصل الألفاظ من حيث الاشتقاق، والخلاف في ذلك، وما يؤدّي إليه من اختلاف في الوزن والمعنى، وفي ما يلي ذكر لبعض هذه المسائل التي استطاع الباحث الوصول إليها، ورأى أنها ذات صلة بموضوع الدراسة:

أ- أصل اشتقاق لفظة (اسم):

اسم أصله عند البصريين: سُمْو، بضم السين أو كسرها (سِمْو)، فعلى الضم يكون أصل اشتقاقه من سما يسمو، وعلى الكسر يكون من: سمى يسمى، بمعنى ارتفع، حُذف آخره، وسُكّن أوله اعتلالاً على غير قياس، وزيدت الهمزة أولاً عوضاً عن المحذوف، بدليل تصغيره على (سُمَيّ)، ووزنه: (افل). وعند الكوفيين مشتق من السّمة، أي العلامة، وأصله: وسْم، ثم أعلّ بحذف أوله، وحُرّكت العين على غير قياس أيضاً، ووزنه (اعل)، فيصغّر في هذا القول على: وُسيم؛ لأن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها ، (مكي، 1984: 66).

ب- أصل لفظ الجلالة (الله):

ذكر في هذا اللفظ ثلاثة أقوال:

1. إما أن يكون أصله : إلاه، ثم دخلت عليه الألف واللام فصار الإلاه، وبعد التخفيف والإدغام بقصد التعظيم والتفخيم صار (الله).

2. وإما أن يكون أصله (لاه)، ثم حدث فيه ما حدث في السابق، ودليل هذا قولهم: لهي أبوك، بمعنى لله أبوك، وقول الشاعر:

لاه ابن عمّك لا أفضلت في حسبٍ

3- ما نقله عن الزجاج وهو أن أصله (ولاه)، ثم أبدل من الواو همزة كما قالوا في وِشاح: إشاح، فصار: الله (مكي، 1984: 66، 67)..

ج- "الطاغوت" ، (البقرة: 256)، قال: إنه مشتق من طغى، لكنه مقلوب، أصله (طغيوت) إن كان أصل لامه ياءً، أو طغووت إن كان أصلها واواً؛ لأنه يقال: طغا يطغو، وطغى يطغى، وطغيت، وطغوت، أقول: والأرجح أن يكون أصل لامه ياءً؛ لأن مصدره (طغيان). وعلى كلا الاحتمالين فإن وزنه (فعلوت) (مكي، 1984: 137).

د- "الشيطان يعدكم الفقر" (البقرة: 268):

شيطان: فيعال، من شطن إذا بعُد، ولا يجوز أن يكون فعلان من تشيّط وشاط؛ لأن سيبويه حكى: شيطنته فتشيطن، على وزن تفيْعَلَ من شطن، إذ لو كان من شاط لكان شيطنته على وزن فعلنته، وليس هذا البناء في كلام العرب، فالنون فيه أصليّة، والياء زائدة، فلابدّ أن يكون النون لاماً، (مكي، 1984: 140).

هـ- قوله: "فنعمّا هي" (البقرة: 271):

ذكر أن في (نعم) أربع لغات: ـ نَعِمَ مثل عَلِم، ـ ونِعِم بكسر النون إتباعاً لكسرة العين، ـ ونَعْم بترك النون مفتوحة على أصلها وتسكّن العين استخفافاً، ـ ونِعْم بكسر النون لكسرة العين، ثم تسكّن العين استخفافاً، (مكي، 1984: 141).

هـ- "ولا يلتكم" (الحجرات: 14):

ذكر أن في هذا الفعل أربع لغات:

الأولى: يألتكم، من ألت – يألت.

الثانية: يلِتكم، من لات – يليت، ككال يكيل.

الثالثة: آلت – يألت.

الرابعة: الت – يولت. (مكي، 1984: 681).

وذكر في كتابه الكشف أنّ اللغة الأولى قرأ بها أبو عمرو بن العلاء، والثانية قرأ بها باقي القراء السبعة، والثالثة قرأ بها ابن كثير في سورة الطور(آ: 19)، والرابعة نقلها عن التوزي، عبد

الله ابن محمد (ت233هـ)، ثم قال: "وكله بمعنى النقصان" (مكي، 1984: 681، والكشف لمكي 1997: 2/ 284) .

المبحث الثالث:

المسائل اللغويّة في كتاب (باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن) للنيسابوري:

1. تعريف موجز بابن أبي الحسن النيسابوري:

هو: أبو القاسم محمود بن أبي الحسن النيسابوري الغزنوي، ذُكرت له عدة ألقاب أشهرها: بيان الحق، كان مولده – كما تذكر المصادر – في نهاية القرن الخامس بنيسابور، تولى القضاء والخطابة والتدريس في حلب، وكان كثير التصنيف ممّا يدل على تبحّره وغزارة علمه.

لم تذكر كتب التراجم تاريخ وفاته، لكنها ذكرت أنه كان حياً في عام 553هـ بمدينة الخجند، في أقصى بلاد الشرق، رحل بعدها إلى الشام، ومكث في حلب مدّة، ثم انتقل إلى دمشق حيث توفي بها، وهذا يدلّ على أنه توفي بعد هذا التاريخ بزمن ليس باليسير، (القفطي، 1986: 2/ 138، والسيوطي البغية، 1965: 2/ 277).

2. منهج النيسابوري في كتابه: باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن:

رتّب المؤلف الحديث في هذا الكتاب عن سور القرآن وآياته وفق ترتيب المصحف الشريف، وهذا منهج المفسرين في تناولهم لآيات القرآن الكريم، وسار فيه مراوحاً بين الإيجاز والإطناب، متتبعاً آيات كل سورة، ذاكراً ما يُشكل فيها، موضحاً الغامض منها، مدعّماً آراءه بالآيات القرآنيّة، والأحاديث النبويّة، والمأثور من أقوال الصحابة – رضوان الله عليهم – مع عنايته بالقراءات واللغة والنحو وغيرها من العلوم، كما استشهد بالشعر كثيراً، وبخاصة في ما يُشكل من الألفاظ التي لم يرد فيها أثر عن النبيّ الكريم، أو أحد من صحابته، نتيجة لصدق إيمانهم، وسلامة عقيدتهم، وعلمهم باللغة وأسرارها، لكنها ظهرت فيما بعد، وتزايدت مع مرور الوقت، فأسهب في هذه المسائل، فاتضحت بذلك قدرته العلميّة، وبراعته في التحقيق والتدقيق ورد الأشياء إلى أصولها، ويمكن رصد سمات منهجه في النقاط التالية:

- اعتماده على القرآن الكريم اعتماداً واضحاً، على اعتبار أن القرآن يفسّر بعضه بعضاً، فما جاء مجملاً في آية يُفسّر في آية أخرى، وما جاء مطلقاً أو عاماً في آية، جاء مقيّداً أو مخصصاً في آية أخرى، وهكذا.

- اعتماده على الأحاديث الشريفة والأقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين، دون اهتمام بذكر أسانيد هذه الأقوال.
- عنايته بذكر القراءات القرآنية، المتواترة منها، والشاذة أحياناً، حتى صار الكتاب منبعاً خِصباً، ومرجعاً قيّماً في هذا الجانب.
- اهتمامه بالمسائل العقديّة، ما يخصّ منها الألوهية، أو الوحدانية، أو صفات الله سبحانه وتعالى، أو وصف الغيبيات كيوم القيامة وما فيه، مع ملاحظة أنه كان ماتريديّ العقيدة كما سبق ذكره، يسير على منهجهم، فنفى عن الله تعالى الزمان والمكان، وأوّلَ بعض الصفات كالقدرة، واليد، والعين، والمحبّة، والغضب، وهذا بسبب اتجاهه الفلسفيّ، واعتماده على علم الكلام، وأخذه ببعض أفكار المعتزلة وآرائهم.
- عنايته ببيان بعض مباحث علوم القرآن، كبيان المكيّ والمدنيّ، وأول ما نزل من القرآن، وأسباب النزول لكثير من الآيات، وما تكرّر نزوله، والوقف والابتداء، وغير ذلك.
- عنايته بالمباحث اللغويّة والصرفيّة، يبيّن المعنى اللغويّ للكلمة، يوضّحها ويزيل الإشكال فيها، ثم يعرّج بعد ذلك على اشتقاقها وتصريفها.
- اهتمامه بإعراب الآيات وتوجيهها، وهذه سمة بارزة في الكتاب، عوّل في هذا كثيراً على سيبويه، والكسائي، والفراء، والأخفش، وأبي إسحاق الزجاجي، وغيرهم من النحاة، ينحو في ذلك منحى المدرسة البصريّة، وإن كان يستخدم بعض المصطلحات الكوفيّة مثل: النصب على القطع، والتعبير عن الزيادة بالصلة.
- عنايته بالاستشهاد بالشعر والأمثال.
- يُنبّه كثيراً على مذاهب العرب وتفنّنهم في أساليب كلامهم.
- عنايته بذكر جملة من النكات البلاغية، وبيان الفروق بين بعض الحروف.

3. بعض المسائل اللغويّة من كتاب: باهر البرهان:

تنوّعت المسائل التي تم اختيارها في هذه الدراسة ما بين مفردات مبهمة، ومشترك لفظي، واشتقاق، واختلاف المعاني لاختلاف الحركات، وفيما يلي عرض لنماذج من هذه الأنواع:

1. **مفردات مبهمة** فسّرها مستدلاً على ذلك ببعض الشواهد:

أ- الحنف، من قوله تعالى: "بل ملة إبراهيم حنيفاً"، (البقرة: 135).

ذكر لهذه اللفظة معنيين: الميل، والاستقامة، واستشهد لكل منها.

الأول: أصل الحنف: الميل في الرجل، تميل كل واحدة من الإبهامين إلى صاحبتها ... فكأن الملة الحنيفية مالت من الأديان الباطلة إلى الحق"، (النيسابوري، 1997: 145)، واستشهد لهذا بقول أم الأحنف وهي ترقّصه: والله لولا حنفٌ برجله ودقة في ساقه من هزله

ما كان في فتيانكم من مثله

الثاني: أن أصله الاستقامة، قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):

حمدتُ الله حين هدى فؤادي إلى الإسلام والدين الحنيف.

وقيل للمعوّج من الإبهامين (أحنف) بالهمزة، إما عن طريق السلب كالتمريض، والتقذية، والإشكال، والإعتاب، في سلب هذه المعاني وإزالتها، وإما عن طريق النقل بالضدّ، كما يُقال للمهلكة: المفازةُ، وللديغ: السليمُ، (النيسابوري، 1997: 146).

ب– العضل، من قوله تعالى: "فلا تعضلوهنّ أن ينكحن أزواجهنّ"، (البقرة: 232).

قال: "العضل: المنع والتضييق، أعضل الأمرُ: أعيا، وعضلت المرأة وأعضلت: عسرت ولادتها"، (النيسابوري، 1997: 228).

ج – الغبن، من قوله تعالى: "ذلك يوم التغابن" ، (التغابن: 9).

يذكر أن لهذ الأصل في اللغة معنيين:

الأول: معناه اللغوي: مطلق الإخفاء، ومنه مغابن الجسد: ما خفي منه.

الثاني: معناه في الآية الكريمة إخفاء أمر المؤمن على الكافر في الدنيا، الكافر يغبن المؤمن بنعيم الدنيا، والمؤمن يغبن الكافر بنعيم الآخرة، ومن هنا جاء التفاعل (التغابن)، أحدهما ظنٌّ، والآخر حقيقة ، (النيسابوري، 1997: 1508 بتصرّف)، وعلى هذا المعنى ما جاء في مقاييس اللغة، أن هذا الأصل "الغين والباء واللام كلمة تدلّ على ضعف واهتضام"، (ابن فارس، 1979: 4/ 411).

2. **الاشتراك اللفظي،** عند قوله تعالى: " إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يُبشّركِ بكلمةٍ منه اسمه المسيح بن مريم ..."، (آل عمران: 45).

قال: "المسيح من الأسماء المشتركة"، وذكر له المعاني الآتية:

- المسيح: سبائك الذهب.
- والمسيح: ما دون الفود من الرأس.
- والمسيح: الكثير الجماع.

- والمسيح: المنديل الأخشن.
- والمسيح: الذراع.
- والمسيح: الكذاب، وبه سمي الدجال.
- والمسيح: الصّدّيق، وبه سُمّيَ المسيحُ عليه السلام، أو لأنه مُسح بالبركة، أو بالدهن.

"فهو على هذه الأقاويل (فعيل) بمعنى (مفعول) مثل: الصريع والجريح" ، (النيسابوري، 1997: 291، 293).

3. اختلاف المعاني لاختلاف الحروف:

من المعلوم أن تغيير أحد حروف الكلمة يؤثر في معناها؛ لأنه جزء من بنيتها ، وهو يسمى في علم اللغة الحديث بـ(الفونيم) phoneme ، وهو أصغر وحدة صوتيّة يمكن عن طريقها التفريق بين المعاني، فتغييره يؤدي إلى تغيير معنى الكلمة، ذكر من هذا القبيل بعض الألفاظ عند قوله تعالى: "ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً"، (المائدة: 82)، نورد منها ما يلي:

يقال في اتباع الحديث: **قس**، وفي اتباع أثر الطريق: **قص**.

كما قالوا: **الوصيلة** في الاتصال والمماسة الحسيّة، و**الوسيلة** في القربة.

وقالوا: **صَعِد** في الجبل لما يُشاهد، و**سَعِد** لما لا صعود فيه حساً ولكن في صعود الجَدّ. ولجدّ معناه: الحظ والبخت.

وكذلك **الفسيل** في النخل التي التلاقح والنتاج فيه خفي، و**الفصيل** في الإبل، (النيسابوري، 1997: 431، 432).

3. **الاشتقاق الأكبر**. عند قوله تعالى: "... وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط"، (البقرة: 136).

قال: السبط عند المبرّد من سبط عليه العطاء، إذا أكثر ووالى، كأنه مقلوب بسط، وكلاهما من الكثرة، وهذه طريقة الاشتقاق الأكبر، وهي رجوع معاني الكلمة على اختلاف تركيبها، مثلاً في الثلاثي إذا تصرّف على ستة قوالب، إلى أصلٍ واحد، ومادّةٍ واحدةٍ، (النيسابوري، 1997: 146، 147).

الخاتمة:

بعد هذه الجولة السريعة مع هذه النماذج الثلاثة لكتب مشكل القرآن الكريم، التي رأينا فيها جهود أهل اللغة ودورهم في بيان إشكالات القرآن ودفعها برجوعهم إلى طريقة العرب في كلامها، وأن من قال بوجود هذا الاختلاف والتناقض إنما أوتي من قلة معرفته بوجوه الكلام ومجازاته، وجهله بتصاريف اللغات، نصل بعد هذا إلى النتائج التي توصل إليها البحث، التي أهمّها:

1. أن كتاب: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، أول ما ألف في هذا المجال، فهو مصدر مهم لما جاء بعده من الكتب، كإعراب مشكل القرآن، وباهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، وغيرهما، وإن كان لها فضل الإضافة.
2. أن وجود الإشكال في القرآن أمرٌ نسبيّ، لأنه يعود إلى القارئ أو المفسر، فما يشكل عند أحد قد لا يُشكل عند غيره، فالله تعالى أنزل الكتاب محكماً لا اختلاف فيه ولا تعارض، لكن الفرق في الفهم والتدبّر.
3. أن كتب مشكل القرآن الكريم، فضلاً عن دفعها الإشكال عن كتاب الله تعالى، أضافت للدراسات اللغويّة ما يمكن عدّه تطبيقاً عمليّاً لمسائل اللغة، ببيان أساليبها، وتصاريفها المختلفة.
4. اشتمال هذه الكتب وغيرها من كتب مشكل القرآن الكريم على عديدٍ من المسائل اللغويّة المهمّة، ممّا يجعلها مصدراً من المصادر الأصيلة في علوم اللغة، لا يستغني عنها الباحث والمتخصّص؛ لغناها ولحفاظها على أنواع من الأساليب اللغويّة البليغة، مع تعليلها وتوضيحها، والتمثيل لها من النصوص اللغويّة شعراً ونثرا.
5. معرفة المشكل في القرآن الكريم وطريقة دفعه، من العلوم المهمّة لكل من يتصدى لدراسة ألفاظ القرآن الكريم.
6. الحاجة إلى بيان المشكل تزداد مع مرور الوقت، وتراكم الجهل بالبعد عن آثار النبوّة، وتقل إذا انتشر العلم، وسلمت العقيدة.

قائمة بأهم المصادر والمراجع:

- القرآن الكريـم.
  - أحمد بن فارس، أبو الحسين:

- الصاحبي في فقه اللغة، ت: د. عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت – لبنان، ط1، 1414هـ - 1993م.

- معجم مقاييس اللغة، ج3، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م،
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:
- البيان والتبين، ج1، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د: ت.
- الحيوان، ج2، ت: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، ط2، 1384هـ - 1965م.
- جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل، ج3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1403هـ - 1983م.
- جلال الدين السيوطي:
- المزهر في علوم اللغة، ج1، ت: محمد أحمد جاد المولى وآخريْن، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط3، د: ت.
- الأشباه والنظائر في النحو، ج1، ت: د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ط1، 1406هـ - 1985م.
- خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط7، 1986م.
- الدمياطي: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1422هـ - 2001م: 459.
- أبو الطيب اللغوي: الأضداد في كلام العرب، ج1، ت: عزة حسن، دمشق، 1963م.
- علاء الدين بن عبد العزيز البخاري: كشف الأسرار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ - 1997م.
- القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف: إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج2، ت: أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1406هـ - 1986م.
- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج10، مؤسسة قرطبة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1421هـ - 2000م.
- محمد الأمين الشنقيطي: أضواء البيان، ج6، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د: ت.
- محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي: لسان العرب، ج11، دار صادر، بيروت، د: ت.
- ابن النديم (385هـ): الفهرست، دار المعرفة ، بيروت – لبنان، د، ت.